الرسالة

(١ كورنثوس ١: ١٠–١٧)

يا إخوةُ أطلبُ إليكم باسم ربِّنا يسوعَ المسيحِ أن تقولوا جميعُكم قولاً واحدًا وأن لا يكونَ بينكم شقاقاتٌ بل تكونوا مكتَمِلينَ بفكرٍ واحد ورأيٍ واحد* فقد أخبرني عنكم يا إخوتي أهلُ خُلُوي أنَّ بينَكم خصوماتٍ* أعني أنَّ كلَّ واحدٍ منكم يقول أنا لبولُسَ أو أنا لأبلُّوس أو أنا لصفا أو أنا للمسيح* ألعلَّ المسيحَ قد تجزَّأ. ألعلَّ بولسَ صُلبَ لأجلِكم أو باسمِ بولسَ اعتمدتم* أشكُرُ الله أنّي لم أعمِّدْ منكم أحدًا سوى كرسبُسَ وغايوس* لئَلاَّ يقولَ أحدٌ إني عمَّدتُ باسمي* وعمَّدتُ أيضًا أهلَ بيتَ استفاناس. وما عدا ذلك فلا أعلمُ هل عمَّدتُ أحدًا غيرَهم* لأنَّ المسيحَ لم يُرسلْني لأُعمِّدَ بل لأبشِّرَ لا بحكمةِ كلامٍ لئَلاَّ يُبطَلَ صليبُ المسيح.

الإنجيل

(متى ١٤: ١٤–٢٢)

في ذلك الزمان أبصرَ يسوعُ جمعًا كثيرًا فتحنَّنَ عليهم وأبرأ مرضاهم* ولمَّا

رقاد والدة الإله

«إن والدة الإله التي لا تغفل في الشفاعات، والرجاء غير المردود في النجدات، لم يضبطها قبر ولا موت، لكن بما أنها أمُّ الحياة نقلها إلى الحياة الذي حلَّ في مستودعها الدائم البتوليَّة» (قنداق العيد).

تشكِّل الأعياد المريميَّة محورًا أساسيًّا في أعياد سنتنا الطقسيَّة الأرثوذكسية. يفتتح عيد ميلاد والدة الإله مريم السنة الطقسيَّة في الثامن من أيلول،وعيد رقادها يختتم هذه السنة في الخامس عشر من آب. هذا لأن الكنيسة رأت في ميلادها بداية تحقيق وعود الله وخلاص الجنس البشري، وفي رقادها، أو انتقالها إلى السماء بحسب التقليد، تذوقًا مسبقًا لما ستكون عليه الخليقة في اليوم الأخير إذا ما كانت فعلاً كمريم العذراء طائعة بالكلية للرب «هُوذا أنا أمَةُ الرَّبِّ» (لو ١:٣٨).

بعد صعود الرب يذكر كتاب أعمال الرسل ان الرسل «كلُّهم كانوا يُواظِبونَ بنفسٍ واحدةٍ على الصلاةِ والطِّلبَةِ مع النساءِ ومريمَ أُمِّ يسوعَ ومع إخوَتِهِ» (١:١٤). وبعدها لا يذكر العهد الجديد أي تفصيل يتعلَّق بحياة مريم، لذا لا نعرف الكثير عن الظروف المحيطة بموت مريم أم ربنا يسوع المسيح ولا مكان أو زمان رقادها مع انه وصل إلينا قصص كثيرة من الأدب المنحول، إلا اننا لا نستطيع تأكيدها.

التقليد الشرقي استند إلى إحدى هذه القصص التي تعود إلى القرن الرابع أو الخامس، وقيل انها رقدت في أورشليم وان الرسل اجتمعوا من الأقطار لدفنها، وان الرب يسوع نقلها بالجسد إلى السماء، إلى المجد الذي تستحقه كونها ولدت الإله وساهمت في خلاص البشر. هذا التقليد نجد انعكاساته الجليَّة في الليتورجيا والأيقونة.

العدد ٢٠٠٣/٣٢

الأحد ١٠ آب

تذكار القديس الشهيد لفرنديوس رئيس الشمامسة

اللحن السابع

إنجيل السَحَر الثامن

في عيد رقاد والدة الإله، محبَّة الكنيسة لا تتمحور حول الوقائع التاريخيَّة لهذا الرقاد ولا حول زمان ومكان حدوثه. هذه أمور ثانوية. ما يهمها هو جوهر معنى هذا الرقاد. في عيد الرقاد نُقيم تذكارًا لرقاد تلك التي ولدت ابنًا، بحسب إيماننا، قهر الموت وقام من بين الأموات ووعدنا بالقيامة الأخيرة وبانتصار الحياة الخالدة. في هذا العيد نعيِّد لتحقيق هذا

الوعد في العذراء مريم منذ الآن.

في أيقونة الرقاد نجد والدة الإله ميتة وممددة على فراش الموت وحولها الرسل والملائكة مجتمعون لتوديعها،كما نجد الرب يسوع حاملاً أمه بيديه للدلالة على التمجيد الذي حصلت عليه. فهي حيَّة ومتحدة أبديًا معه.إننا نرى في الأيقونة الموت وما آل إليه هذا الموت، موت مريم بالتحديد:لا نرى التمزّق والتشرذم بل الوحدة، لا الألم بل الفرح،لا الموت بل الحياة. «يا عروس الله الأم البتول، يا من ولدت الحياة، لقد انتقلت برقادك الموقر إلى الحياة الخالدة محفوفة بالملائكة والرئاسات والرسل والأنبياء وسائر الخليقة، وأما نفسكِ البريئة من العيب، فتقبلَّها ابنكِ في يديه الطاهرتين» (من سحر العيد).

في خدمة مديح العذراء التي نقيمها في الصوم الكبير نقول «افرحي يا فجر اليوم السري». النور الصادر من عيد رقاد السيدة صادر من ذلك اليوم السري الذي لا يغرب أبدًا. نتأمل رقاد العذراء ونحن واقفون قربها فنفهم ان الموت قد أُبيد، وان حدث الموت أصبح مدخلاً نحو حياة أوسع، نحو مكان تحكمه الحياة. ان تلك التي أعطت حياتها بالكلية للمسيح وأحبته حتى النهاية وبقيت بقربه عند الصليب، يلاقيها المسيح الآن عند أبواب الموت وهناك سيتحوَّل لقاء الموت إلى لقاء فرح، فالحياة انتصرت والفرح والحياة يسودان العالم بأسره.

في عيد الرقاد نعيِّد لموت العذراء، والموت الجسدي حتمي على ذريَّة آدم البشري. نعيِّد لموتها لأنه كان المرحلة الأولى لانتقالها إلى السماء، إلى حضن ابنها الوحيد. نقول انها انتقلت ولا نقول انها قامت من بين الأموات بسلطان ذاتها كما الرب يسوع، ولكن السيِّد أقامها ورفعها إليه ومنحها الكرامة التي هي في إنسانيته المقدَّسة: مريم وحدها حصلت على المجد منذ رقادها وانعكست فيها إنسانية المسيح الممجدَّة، هذا المجد الذي سنحصل عليه في اليوم الأخير إذا كنا أمناء للرب كما مريم. القديسون أيضًا ينتظرون اليوم الأخير للوصول إلى كمال المجد الذي حصلت عليه مريم. انها «أكرم من الشاروبيم وأرفع مجدًا بغير قياس من السيرافيم». في هذا العيد نتذوَّق مسبقًا ونتوقع فجر ذلك اليوم الذي لن ينتهي أبدًا، يوم يكون الجميع مجتمعين حول الرب يسوع في ملكوته.

الكنيسة في فكر القديس مكسيموس المعترف

كتب القديس مكسيموس المعترف، الذي تحتفل الكنيسة المقدَّسة بتذكاره السنوي في ١٣ آب، كتابه «المصطاغوجيا» على الأرجح بين العامين ٦٢٨ و٦٣٠، أي في بدء إقامته في قرطاجة. ومصطاغوجيا كلمة يونانيّة يصعب نقلها إلى العربية، ولعلّ أفضل ما يؤدّي معناها التسارّ أو العبور إلى الأسرار، والمقصود هنا الأسرار الليتورجية، لأنّ هذا الكتاب هو في جزئه الأكبر شرح للقداس الإلهي. الكتاب موجّه إلى إنسان يُدعى ثيوخاريستوس، ولعلّه الرجل نفسه الذي يذكره المعترف في إحدى رسائله (الرسالة ٤٤) بوصفه أحد كبار المحسنين. يشير القديس المعترف في مقدّمة السفر إلى أنّ التعليم الذي يورده في كان المساءُ دنا إليهِ تلاميذُهُ وقالوا إنَّ المكانَ قَفْرٌ، والساعةُ قد فاتتَ فاصْرِفِ الجموعَ ليذهبوا إلى القرى ويبتاعوا لهم طعامًا* فقال لهم يسوعُ لا حاجةَ لهم إلى الذهابِ أعطوهُم أنتم ليأكلوا* فقالوا لهُ ما عندنا ههنا إلاَّ خمسةُ أرغفةٍ وسمكتانِ* فقال لهم هلمَّ بها إليَّ إلى ههنا* وأمر بجلوسِ الجموعِ على العشبِ. ثمَّ أخذَ الخمسةَ الأرغفَةَ والسمكتينِ ونظرَ إلى السماءِ وباركَ وكسرَ وأعطى الأرغفةَ لتلاميذهِ والتلاميذُ للجموع* فأكلوا جميعُهم وشبعوا ورفعوا ما فَضُلَ من الكسَرِ إثنتَيْ عَشْرَةَ قُفَّةً مملوءَةً* وكان الآكلونَ خمسةَ آلافِ رجلٍ سوى النساءِ والصِبيان* وللوقتِ اضْطَرَ يسوعُ تلاميذَهُ أن يدخلوا السفينةَ ويسبقوهُ إلى العَبْرِ حتى يصرِفَ الجموع.

تأمل

لماذا رفع نظره إلى السماء وبارك؟ لأنه كان عليهم أن يؤمنوا بأنه مُرسَلٌ من الآب ومساوٍ له. لكن العلامات التي تشير إلى ذلك تتناقض ظاهريًا. لقد أظهر مساواته للآب عندما كان يعمل كل شيء بسلطان أما مجيئه من الآب فلا يمكن أن يؤمنوا بذلك إن لم يفعل تلك الأشياء كلها بتواضع ناسبًا إياها إلى الآب

ومنتظرًا معونته. ولذلك لم يظهر الجانب الأول دون الآخر حتى يتبيّن الإثنان معًا. فكان يتمم المعجزات تارة بسلطانه وتارة أخرى باستدعاء أبيه. وحتى لا يُعطى الانطباع أن الأمرين يتنافيان فيما بينهما لذلك عند تتميمه للعجائب الصغيرة، كان يرفع نظره إلى السماء وعند تتميمه العجائب الكبيرة كان يفعلها بملء سلطانه حتى لا يُعتقد ان العجائب حتى الصغيرة لا تأتي من قدرته الخاصة. هو يتطلّع إلى السماء فقط لكي يكرّم أبيه الذي ولده. عندما يغفر الخطايا، عندما يفتح الفردوس ويدخل اللص إليه، عندما ألغى الناموس القديم بقدرة فائقة، عندما أقام أمواتًا كثيرين، عندما سكّن العاصفة في البحر، عندما انتهر أفكار الناس الخفية، عندما وهب النور للعميان، هذه الأعمال كلّها من اختصاص الله وحده دون غيره وفي هذه الأعمال كلّها يبدو أنه لم يستدعِ أبيه. لكن هنا عند تكثير الخبز استدعى معونة أبيه من جهة ليظهر ما قلته سابقًا ومن جهة ثانية لكي يعلّمنا أن لا نبدأ الطعام قبل أن نشكر ذاك الذي يعطينا الغذاء.

ولماذا لا يخلق خبزًا من العدم؟ لكي يغلق أفواه مركيون ومانيخ اللذان يبعدانه عن الخليقة، لكي كتابه ليس خاصًّا به، بل هو منقول عن شيخ جليل متقدّم في الحياة الروحية ومتضلّع من معرفة الأسرار الإلهيَّة.ولقد تفكّر الباحثون طويلاً في هويّة هذه الشخصية، فرأى بعضهم فيها القديس صفرونيوس الدمشقيّ الذي يُرجّح أنّ مكسيموس تتلمذ عليه بعد حلوله في قرطاجة ولا يُستبعد أن يكون قد تعرّف إليه في الشرق قبل مجيئه إلى شمال أفريقيا. بيد أنّ ما وصل إلينا من القديس صفرونيوس لا ينمّ عن اهتمام خاص لديه بتفسير الليتورجيا. فتبقى الفرضيّة، إذًا، غير أكيدة وتبقى هويّة هذا الشخص مجهولة.

لقد ذكرنا أنّ هذا السفر النفيس حظي بتسمية المصطاغوجيا لكونه تفسيرًا للقدّاس الإلهي. بيد أنّ هذه المقولة ليست صحيحةً إلاّ جزئيًّا. فالكتاب يتضمّن إلى جانب الجزء الثاني (الفصول ٨–٢٤) الذي يعنى بشرح القدّاس جزءًا أوّلاً (الفصول ١–٧) ينصرف القديس مكسيموس فيه، على نحوٍ جميل وعسير في آن، إلى تأمّل لاهوتي عميق في الكنيسة والكون والإنسان والكتاب المقدّس. وسنتطرّق في ما يلي إلى أبرز محطّات هذا الجزء الأول نظرًا لما يحويه من غنى المعاني والأفكار المتعلّقة بالكنيسة. ولا بد هنا من ملاحظة في البدء هي أن القديس المعترف قد يعطي الانطباع في بعض مقاطع هذا الجزء أنّه يتكلّم على الكنيسة الحجريّة، لكونه يكثر الحديث عن أقسام المعبد المسيحي كالهيكل وصحن الكنيسة. بيد أن من يقرأ النص بتمعّن يكتشف أنّ أقسام الكنيسة بالنسبة إلى الكاتب غير منفصلة عمّن يحلّ فيها عادةً من المؤمنين. فالمكان النموذجيّ الذي يحقّق فيه أعضاء الكنيسة ذاتهم ككنيسة إنّما هو المعبد المسيحي الذي يشهد الاجتماع الأفخارستي. من هنا فإن الكلام عند القديس مكسيموس على اقسام المعبد ورمزيّته هو إيّاه الكلام على أعضاء الكنيسة.

يرى المعترف أنّ الكنيسة رمز لله وصورة عنه لأنّها تتمتّع بالفاعليّة ذاتها التي له. فالله في عمليَّة الخلق يوحّد الأشياء المخلوقة بقدرته التي لا تحدّ ويربطها ببعضها البعض، مقيمًا توازنًا بين الواحد والمتعدّد. هذا يعني أنّ المخلوقات تنتمي إلى أجناس وأنواع لا تحصى، بيد أنّها كلّها موحّدة من حيث صدورها من قوّة إلهيَّة واحدة وانتظامها في كونٍ واحد فلا تدخل رغم اختلافها في صراع، بل تتوافق وتتكامل. كذلك الكنيسة تضمّ بشرًا متعدّدين مختلفي العرق والجنس واللون واللغة والفكر والعادات والذوق والمشارب، لكنّها توحّدهم إلى مبدأ واحد وفكرٍ واحدٍ وسلوكٍ واحدٍ، وذلك عبر الولادة الجديدة المعطاة لهم بالمعموديّة. ويرى القديس مكسيموس أنّ الكنيسة بالمعموديّة تغدق على هؤلاء المنتمين إليها اسمًا جديدًا وشكلاً جديدًا بحيث يحسّ أعضاؤها بأنّهم مرتبطون ببعضهم البعض بواسطة نعمة الولادة الجديدة وموحّدون في الإيمان بالمسيح.

بالمنطق ذاته تصبح الكنيسة، في فكر القديس مكسيموس،صورة الكون ورمزًا له. فكما يتألّف الكون من كائنات مرئيّة وغير مرئيّة، هكذا تتألّف الكنيسة من خدّام الأسرار، أي الكهنة،والمؤمنين. بيد أنّ هذا التمييز لا يعني الفصل. فالكون واحد بشقّيه

المرئي وغير المرئي، وكذلك الكنيسة واحدة بجناحيها إذ يعي كل عضو فيها أنه، في العمق، قائم في الآخرّ وأنّه بالنسبة إلى الآخر ما هو بالنسبة إلى ذاته. بالمقابل فإنّ الكون يظهر ككنيسة من نوع آخر لأنه يضم في ذاته كلّ الخلائق الحسيّة والعقليّة، المنظورة وغير المنظورة، بحيث أنّ الحسيّ يصبح صورة غير المنظور، وغير المرئي يسكن في الحسيّ من دون انقسام أو اختلاط. لا شك في أنّ القديس مكسيموس، في تعبيره عن هذا السر العظيم، أي كيف أنّ الكنيسة كون والكون كنيسة، يستلهم تعليم مجمع خلقيدونية عن طبيعتي المسيح الموحّدتين من دون اختلاط، مستخدمًا التعابير ذاتها التي لجأ إليها المجمع ومطبّقًا إيّاها على الكون والكنيسة.

فضلاً عن ذلك، يشبّه القديس مكسيموس الكنيسة بالإنسان المؤلّف من نفس وذهن وجسد. والملاحظ،هنا،أنّ القدّيس مكّسيموس يلجأ إلى تقسيم ثلاثيّ للإنسان مميّزًا بين النفس والذهن، وكلاهما ينتمي إلى الجزء غير المنظور في الإنسان. والحقّ أنّ الذهن في تعليم القديس ليس منفصلاً عن النفس، بل هو مركزها الذي تتصلّ بواسطته بالله، وتاليًا هو مركز الإنسان ككلّ. بالعودة إلى الكنيسة، النفس هي الهيكل حيث يقف خدّام السرّ، والذهن هو المذبح الذي يُقام عليه سرّ الشكر، والجسد هو صحن الكنيسة حيث ينتصب المؤمنون. هكذا تصبح الكنيسة على صورة الإنسان ومثاله، هذا الإنسان المخلوق بدوره على صورة الله ومثاله.ويرمز كلّ جزء من أجزاء الكنيسة، من جهة أخرى، إلى واحدة من درجات النموّ الروحيّ. فالصحن يشير إلى التطهّر من الأهواء، والهيكل يرمز إلى الاستنارة أو التأمّل، أمّا المذبح فيدلّ على التألّه، ويطلق عليه القديس تسمية «اللاهوت».

هذا بعض ما يختزنه هذا السفر الجليل في تعليمه عن الكنيسة. ويلاحظ القارئ سعي القدّيس مكسيموس إلى الربط بين تعليم المجمع المسكوني الرابع عن شخص المسيح وتعليمه هو عن الكنيسة. والحقّ أن مكسيموس مهتمّ بإظهار الاتصال العضوي بين مختلف أجزاء التعليم الإلهي عن الله والكلمة المتجسد والإنسان والكنيسة والنمو الروحيّ لاقتناعه أنّ البناء واحد في نهاية المطاف وأنّ هذه الحقائق الإلهيَّة المخلّصة مترابطة. وتبقى الصفحات المتعلّقة بالكنيسة في كتاب المصطاغوجيا للقديس مكسيموس المعترف من أهمّ ما خُطّ في التراث الآبائي من تأمّل في هذا السر العظيم الذي دبّره الله في عنايته لتوحيد الانسان به.

رقاد والدة الإله

بمناسبة عيد رقاد سيدتنا والدة الإله الكلية القداسة يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الخميس ١٤ آب ٢٠٠٣ وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الجمعة ١٥ آب في كنيسة نياح السيدة – رأس بيروت.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb

يعلّمنا عن طريق العمل ان الخبز والمنظورات كلها صُنْعُ يديه. كما يريد أن يظهر أيضًا انه هو الذي يعطي الأثمار والذي قال عند الخلق «لتنبت الأرض نباتًا عشبًا» (تك١:١١) و«لتفض المياه زحّافات حيّة» (تك١:٢٠) لأن هذه المعجزة لم تكن أقلّ شأنًا من تلك. كما ان تلك خرجت من المياه رغم إبداعها من العدم هكذا هنا أيضًا أبدع خبزًا كثيرًا من خمسة أرغفة وأبدع سمكًا كثيرًا من سمكتين وهذا لم يكن أقلّ شأنًا من إخراجه من الأرض أثمارًا ومن المياه زحّافات حيّة. هذا مما يدلّ على سلطانه على الأرض وعلى المياه. كان يشفي المرضى بصورة مستمرّة لكنه في هذه الحالة بادر إلى إحسان شامل حتى لا يبقى الناس مجرّد شهود لما يحصل للآخرين بل ليتمتعوا هم أيضًا بإحساناته.ذاك الذي انتشل إعجاب اليهود في البريّة (لأنه كان يقول: «أفيقدر أيضًا أن يعطي خبزًا أو أن يهيّئ لشعبه مائدة»؟ مز ٧٧:٢٠). لقد برهن هنا عن ذلك بطريقة فعلية. لذلك قادهم إلى البرية حيث لا وجود لمدينة قريبة وهيّأ لهم كل ما يحتاجونه للطعام. من هنا ان الإنجيلي قد حدّد لا المكان فقط بل ومعه الساعة.